إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية

مجدي حاج إبراهيم*

نظم قسم اللغة العربية وآدابها بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا مؤتمره العالمي الأول تحت عنوان "إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية" لمدة ثلاثة أيام من 18 إلى 20 ذي القعدة 1428هـ، الموافق 28-30 نوفمبر 2007م، في رحاب المجمع الرئيس للجامعة.

وعلى الرغم من كون المؤتمر المحاولةَ الأولى لقسم اللغة العربية وآدابها، فإنه بلغ من النجاح والتمييز -بشهادة الحضور والضيوف- ما جعل مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا يتخذ قرارًا بوجوب إقامته بصورة دورية كل سنتين. ولعل أهم أسباب نجاح المؤتمر يكمن في العمل الجماعي الدؤوب الذي صاحبه طوال فترة التخطيط والتنفيذ، حيث تضافرت لإنجاحه جهود كل منتسبي القسم من محاضرين وطلاب، فضلاً عن تشجيع الكلية وتقديمها المساعدات والتسهيلات المطلوبة.

لقد شغل تدهور حال اللغة العربية وتقهقرها في العصر الراهن اهتمام الباحثين والمتخصصين. فالضعف الذي تعاني منه العربية مستفحل ويمس جوانب متعددة، حيث يمتد إلى مناهجها ومعاهدها ومؤسساتها، فضلاً عن تدني مستوى معلميها

* أستاذ مساعد في قسم الفقه وأصول الفقه، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

ومتخرجيها على حد سواء. من هنا فقد تولدت فكرة عقد المؤتمر لغرض الارتقاء باللغة العربية والنهوض بها لتتبوأ مكانها الحقيقي بين لغات العالم، لتكون الأساس والعماد في مشروع إعادة بناء صرح الحضارة الإسلامية العريقة.

لا ينكر أحد ما للغة العربية من أثر كبير في بناء حضارة الأمة الإسلامية! فقد كانت لغة التواصل بين شعوب الأمة الإسلامية وأمصارها في عصورها الأولى بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وأسهمت بشكل مباشر في تشكيل كيانها الثقافي والحضاري. كما كانت مناط العلوم والآداب، ووسيلة نشر المعارف في الداخل والخارج. وعلى الرغم من تقهقر العربية في العصر الراهن، إلا أنها استطاعت بفضل جذورها الدينية أن تبقى صامدة في عصر الانفتاح الحضاري العالمي رغم التحديات التي تتعرض لها بين الفينة والأخرى. ولكن، وعلى الرغم من صمود اللغة العربية في عصر العولمة، فإنها لم تعد تؤدي وظائفها الثقافية والمعرفية والاتصالية بين المسلمين على الوجه المطلوب. من هذا المنطلق، يأتي هذه المؤتمر للبحث عن سبل تفعيل دور اللغة العربية وآدابها لتتناغم مع مستجدات الانفتاح الحضاري العالمي لتحقيق الغايات الحضارية النبيلة للأمة الإسلامية.

وقد سعى المؤتمر لتحقيق العديد من الأهداف العامة التي يمكن من خلالها تشييد البناء الحضاري للأمة الإسلامية، نجملها في الآتي:

1. تفعيل دور اللغة العربية بوصفها لغة عالمية، والتباحث في سبل نشرها تعليما وتعلما بين الشعوب الإسلامية بما يستجيب مع احتياجاتهم في عصر العولمة اللغوية والثقافية.
2. الإفادة من معطيات الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، والدراسات الأدبية والأسلوبية الحديثة في توجيه دراسة اللغة العربية وآدابها للإسهام في البناء الحضاري للأمة.
3. ربط علوم اللغة العربية ومناهج دراستها بمتطلبات عصر العولمة من أجل

مساندة جهود الأمة في البناء الحضاري.

4. تفعيل دور الأدب في استنهاض الأمة الإسلامية لبلوغ غاياتها الحضارية.

ولتحقيق هذه الأهداف، حددت اللجنة التنظيمية للمؤتمر خمسة محاور للدراسة والبحث، وهي:

1. سبل توجيه عملية تعليم العربية وتعلمها نحو البناء الحضاري.
2. مجالات توظيف الدراسات اللغوية الحديثة في البناء الحضاري.
3. الإسهام الثقافي والتواصل الاجتماعي للبناء الحضاري.
4. الأدب العربي وفنونه المختلفة ودوره في توحيد الأمة قديما وحديثا.
5. آداب الشعوب الإسلامية وأثرها في البناء الحضاري للأمة وتوحيدها.

بدأت فعاليات المؤتمر بقراءة عطرة من الذكر الحكيم. ثم أعقبتها كلمات ترحيبية بالضيوف والباحثين ألقاها عدد من كبار الضيوف وأصحاب المعالي، على رأسهم سعادة المستشار الديني لرئيس الوزراء تان سري الدكتور عبد الحميد عثمان، وسعادة مدير الجامعة الإسلامية بماليزيا داتو الأستاذ الدكتور سيد عربي عيديد، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، ورئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر، الدكتور عبد الرحمن شيك. وقد ركزوا كلماتهم على الإشادة بمكانة اللغة العربية وفضلها، وتأكيد أهميتها في البناء الحضاري، مع التنويه للتحديات التي تواجهها، والعقبات التي تتربص بها.

انتظمت جلسات المؤتمر في أربع جلسات متوازية يومياً، ناقشت 106 بحثاً. ولم يقتصر تنوع المشاركات على المضمون والتناول فحسب، بل شمل التنوع أيضاً اختلاف الاتجاه والتوجه والوجهة، فقد جاءت المشاركات من أقطار شتى ومن مؤسسات وجامعات في بلدان مختلفة: ماليزيا، والسعودية، ومصر، والأردن، وقطر، والإمارات، والمغرب، وليبيا، والسودان، وفلسطين، وبروناي، وباكستان، وإيران، وكازاخستان، ونيجريا، وأستراليا.

وقد خصص المؤتمر أربع محاضرات رئيسة لكبار المشاركين، على رأسهم العلامة

الأستاذ الدكتور عبده الراجحي الذي استفتح أولى هذه المحاضرات ببحث عنوانه "تعليم العربية إلى أين؟"، وقد قام في محاضرته بتشخيص مشكلة تخلف اللغة العربية وضعف مناهج تعليمها. وقد عزا فضيلته سبب هذا التخلف إلى غياب التخطيط المنهجي لمستقبل اللغة العربية على مستوى الحكومات والهيئات والأفراد. وغياب التخطيط أدى إلى غياب التصور العلمي للتمويل الحقيقي الذي تستحقه دراسات اللغة العربية، فتمويل الحكومات العربية لبرامج تعليم اللغة العربية ضعيف جداً مقارنة بتمويل المجالات الأخرى. من جانب آخر، تعاني برامج تعليم العربية من مشكلات مختلفة أجملها في النقاط التالية، أولاً: غياب البحوث العلمية الجادة في تعليم العربية وعدم الاستفادة الجادة من معطيات عصر التكنولوجيا في تطوير الدراسات العربية. وثانياً: غياب المنهج العلمي في برامج تأهيل معلمي اللغة العربية، حيث ظلت معظم أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية متمسكة ببرامجها، ولم تفكر في تغييرها وتطويرها منذ إنشائها. وثالثاً: غياب خطط المتابعة والمراجعة. ورابعاً: غياب الربط العلمي بين التعليم والثقافة الخاصة، ويكمن ذلك في الإصرار على تعلم وتعليم العلوم الطبيعية بلغات أجنبية، وعدم الجدية في تبني مشروع تعريب العلوم. وقد طالب فضيلة الأستاذ الراجحي في خاتمة بحثه بمنح المجامع اللغوية في البلاد العربية سلطة تشريعية، كما اقترح أيضا إبعاد تعليم اللغة العربية عن الحكومات، وإنشاء مراكز ضخمة لتعليم العربية، أسوة باللغات العالمية كالإنجليزية والألمانية، يعمل فيها متفرغون من ذوي الاختصاص في علوم اللغة العربية.

أما المحاضرة الرئيسة الثانية فقد كانت للشاعر الأستاذ الدكتور عبد الله سالم المعطاني بعنوان: "مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني: تاريخ واستشراف"، وقد بدأ الشاعر محاضرته بقراءة أربعة أبيات وليدة اللحظة أشاد فيها بالشعب الماليزي، وشكر أبناءه على اهتمامهم باللغة العربية. وعقب بعد ترحيبه الشعري بأن اللغة العربية سقطت شهيدة مرتين في تاريخها الطويل لأسباب عدة من

أهمها، المناهج وطرق التدريس، وتكريس العامية واللغات الأخرى. ثم خرج العالم من جعبة الشاعر ليناقش موضوع البحث، حيث عرض بالتفصيل تجربة البنك الإسلامي للتنمية، حيث تبنى خططاً تنموية وتربوية في منتصف سبعينيات القرن المنصرم، ترمي إلى تنمية التربية والعلوم والثقافة والإعلام في إطار التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومن بين المشاريع التي تبناها البنك مشروع محو أمية الشعوب الإسلامية بكتابة لغاتهم الوطنية بالحرف العربي. وقد بدأ البنك منذ الثمانينيات بدارسة وتجريب الحروف العربية في تعليم القراءة والكتابة وبرامج التعليم الأساسي في بعض البلدان الأفريقية، وقد حقق المشروع نجاحاً ملحوظاً، الأمر الذي يبشر ويشجع على توسيع نطاق المشروع على باقي الدول الإسلامية.

وكانت المحاضرة الرئيسة الثالثة في اليوم الثاني بعنوان "الهوية الثقافية: قراءة في روايتي الطيب الصالح، موسم الهجرة إلى الشمال، وعرس الزين" للأستاذ الدكتور حسن عبد الرزاق النقر من المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية بماليزيا. وقد تناول الباحث في قراءته للقصتين قضية سوء التفاهم الثقافي الذي ينتج عن فقدان الهوية الثقافية. وقد خلص في نهاية تحليله أنه يستحيل أن يعيش المرء حياتين وثقافتين في وقت واحد، وأنه يجب إحداث التوازن الثقافي الذي بدونه يستحيل الفرد شبحاً متحاملاً متطرفاً ومدمرا. وقد أكد الباحث أن المرء يجب أن يتشرب ثقافة شعبه أولاً وأن يكون ضارب الجذور في ثقافة بيئته قبل أن يطمح في أن يكون قومياً ثقافياً، ولن يستطيع المرء أن يفهم ثقافة الآخر إذا لم يفهم ثقافة قومه. إن استيعاب وممارسة الفرد لثقافته المحلية يفرز إنساناً طبيعياً ومتكاملا. وهذه هي الطريقة التي يسهم بها الفرد في إشاعة مناخ عالمي سلمي تتوفر فيه فرص التعايش الثقافي بين الشعوب في عالم اليوم.

ثم تلت هذه المحاضرةَ محاضرةٌ رابعة ألقاها الأستاذ الدكتور محمد بن علي الهرفي بعنوان "دور الشعر العربي في البناء الحضاري للأمة". وقد قسم الباحث بحثه إلى أربعة محاور ناقش في المحور الأول دور الشعر في توحيد الأمة وكيف أن الإسلام قام

بتوظيف الشعر توظيفاً إيجابياً لصالح بناء المجتمع وتوحيده بدلاً من وظيفته السلبية التي سادت في العصر الجاهلي. وقد اهتم هذ المحور أيضاً بعرض إسهاهامات بعض شعراء العصر الحديث في الدعوة للوحدة العربية والإسلامية أمثال شوقي ومحرم والألمعي والقرضاوي. وفي المحور الثاني عالج الباحث دور الشعر في الدفاع عن قضايا الأمة ومجدها التليد، وكيف ساهم الشعراء في حث المسلمين على الاتحاد لتحرير بلادهم واستعادة أمجادهم السليبة.

ثم ركز في المحور الثالث على إبراز دور الشعر وإسهاماته في الحث على الأخذ بمقومات الحضارة المعاصرة أملاً في البناء والنهوض بالمجتمع كما في أشعار شوقي التي يحث فيها على ضرورة الاهتمام بالتعليم وبناء المدارس والجامعات، فضلاً عن الاهتمام بالصناعة والنهوض بها. وفي المحور الأخير قام الباحث بإبراز دور الشعر في الحفاظ على ثوابت الأمة المتمثلة في الدين واللغة ومنظومة الأخلاق الإسلامية كما في أشعار حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية.

وقد قدمت في الجلسات المتوازية أبحاث متميزة ذات قيمة علمية أثرت المؤتمر بشكل واضح، لا يتسع المجال هنا لذكر تفاصيلها نظراً لكثرتها وتنوعها. وأهم ما يميز تلك الأبحاث تناولها العديد من القضايا التي تتعلق بتعليم العربية، وتعلمها، والتخصص فيها، واستخدامها في عصر الانفتاح الحضاري الحديث، والتواصل الثقافي والاجتماعي، وتوظيف الدراسات اللغوية والتطبيقية الحديثة في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، وإسهام الأدب شعراً ونثراً، وآداب الشعوب الإسلامية، وإسهامات المؤسسات التعليمية والبحثية والمجامع والجمعيات، في تفعيل إسهام اللغة العربية وآدابها في البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

وقد تقرر نشر معظم هذه الأبحاث العلمية المقدمة لهذا المؤتمر العالمي بعد مراجعتها وتحريرها في كتاب بعنوان "إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية"، وقد اقتضى العدد الوفير للأبحاث أن يأتي الكتاب في ثلاثة أجزاء.

توصيات المؤتمر

1. الدعوة القوية إلى تأسيس هيئة عليا غير حكومية تكون مسؤولة عن كل ما يتصل باللغة العربية، خاصة فيما يتعلق بمجال تعليمها ونشرها في العالم. ويمكن أن تسمى (الهيئة العليا للغة العربية)، وتكون لها ميزانيتها المالية المستقلة، ويعمل بها خبراء متخصصون متفرغون. وتكون المرجع الأول في التخطيط، وإجراء البحوث، وإقرار أشكال الإعداد والتدريب، وعقد الندوات، وتوثيق الصلة بين أهل الاختصاص، والمتابعة، والمراجعة.
2. تكوين لجنة خاصة لبحث موضوع كتابة الملايوية بالحرف العربي (الخط الجاوي)، وعلاج الصعوبات التي تصاحبها حاليا حتى لا تنقطع الأجيال الجديدة عن التراث الملايوي الفني الذي كتب بهذا الخط، وإعادة الاهتمام بالحرف العربي وجماليته وفنونه.
3. التخطيط لعقد مؤتمر علمي يتناول دراسة سبل كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي، ويقوم بتنظيمه قسم اللغة العربية وآدابها بدعم من البنك الإسلامي للتنمية بجدة، في شهر يونيو أو يوليو القادم.
4. استخدام اللغة العربية الفصحى وحدها داخل أقسام اللغة العربية والأقسام المناظرة، ولا يكون الاستخدام قاصراً على قاعات الدرس فقط، بل يمتد إلى الأعمال الإدارية، والأنشطة العامة، والرحلات الخارجية.
5. التوجه نحو منع استخدام الترجمة في تعليم العربية على مستوى ماليزيا في المدارس وغيرها. ويقتضي هذا التوجه منع الشرح باللغة الملايوية حتى يألف التلاميذ الصغار والدارسون الكبار تعلم العربية بالعربية، كما هو مطبق في تعليم اللغات الأجنبية في أوربا.
6. تشجيع الأعمال العلمية المشتركة في اللغة العربية بين المؤسسات العلمية المنتشرة في ماليزيا، وفي جنوب شرق آسيا بشكل خاص، والعالم الإسلامي

بشكل عام، من أجل تقوية روح الفريق في خدمة اللغة العربية، فضلاً عن تشجيع الأعمال العلمية المشتركة مع المؤسسات الإسلامية والجامعات في البلاد العربية.

7. تقوية الاتجاه نحو استخدام التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية، وبخاصة الحاسوب في عمل المتون اللغوية الخاصة بالمرحلة الجامعية في تخصصات الفقه والقانون والاقتصاد وغيرها، والإفادة منها في وضع برامج حاسوبية تساهم في تصميم المقررات التعليمية، وصناعة المعاجم، والتعلم الذاتي، وغيرها.

8. وضع كتب نموذجية تمثل الخيار المزدوج بين متطلبات العولمة والأسلمة في مختلف فروع التخصص، والاستجابة لاحتياجات المجتمعات والأفراد في العصر الحديث بما يحقق الدوافع التراثية للأفراد من دين، وإعلام، وتجارة، وتغذية، وخدمة اجتماعية.

9. الانطلاق من اللغة، بوصفها محوراً اتصالياً، في تحقيق التفاعل الحضاري بين المسلمين وغيرهم، لأن اللغة تقرب الأفكار، وتذيب الفوارق الثقافية، وتعكس روح الود والتافهم، وتحقق الحوار الحقيقي، إضافة إلى تنشيط مراكز الترجمة والتعريب من العربية إلى اللغات الأخرى وبالعكس، لا سيما في مجال العلوم والفنون.

10. الاهتمام بتعليم الأدب العربي في صوره التي تحمل ثقافة الإسلام وحضارته وقيمه العليا في أشكاله التي تنمي الذوق الفني لدى الطلاب.

11. تنمية الدراسات المقارنة بين آداب الشعوب الإسلامية، وتنشيط حركة ترجمة هذه الآداب إلى العربية، ليكون المسلمون مطلعين على مشاعر إخوانهم وهمومهم في كل مكان من بلاد المسلمين.

12. إقامة مسابقات سنوية في المناظرة باللغة العربية بين الطلاب المتخصصين في

اللغة العربية وآدابها في الجامعات ومراكز اللغات لتقوية الأداء الإلقائي باللغة العربية. وتكون هذه المسابقات في مستويات مختلفة، للناطقين بالعربية وللناطقين بغيرها.